دار مجدلاوي للنشر والتوزيع

ضيف العام
2002

الشاعر العربي الكبير

هارون هاشم رشيد





بمناسبة الاحتفال بعمان عاصمة للثقافة العربية

دار مجدلاوي للنشر والتوزيع

ضيف العام
2002

الشاعر العربي الكبير
هارون هاشم رشيد

هارون هاشم رشيد

ما زال يشدو بشعر الحياة، ليوقظ النائمين

د. محمد عبيد الله*

(هارون هاشم رشيد) اسم ذو حضـور خـاص، مقـترن أشـد اقتران بفلسطين وعذاباتها، ولذلك يـأخذ صـورة وشـم مضـيء في وجدان أجيال متتابعة، تفـاعلت مـع شـعره، وتربّـت علـى نغماتـه العذبة؛ إنه مغنّي فلسطين في نكبتها ومصابها، وشـاعرها الـذي آلى على نفسه ألا يقول شـعراً في غـير محرابـها، وهكـذا اختـار طريـق الكلمة الصادقة المضمّخة بالمعاناة والعذاب والأمـل، فوقـف شـعره على فلسطين وقضية شعبها، وظل طوال نصـف قـرن ونيّـف وفيـاً لاختياره، ومخلصاً في تعبيره المقترن بالهم الفلسطيني، من خلال تجربته الشخصية كإنسان شرّد ظلماً من أرضه ووطنه، ومن خلال معايشـته لسائر تقلبات فلسطين وأحوالها، وتفاصيل حكايتها الممتدة.

ولد «أبو الأديب» بحارة الزيتـون في مدينـة غـزة الفلسـطينية

---

* شاعر وناقد، أستاذ الأدب العربي المساعد بجامعة فيلادلفيا.

عام ١٩٢٧، فمثّلت (غزة) وُجْهة روحــه، ومنبـع طفولتـه، فنشـأ فيـها وتربّى في مداها ... قريباً من بحرها، كما نال دروســه الأولى وحروفـه المبكرة في مدارسها مصغياً لصوت الموج في مدّه وجزره، كأنه يســمع صوت فلسطين هامساً وصاخباً، صوت أم وحبيبة تخاف القـادم وهـي ترى الأفق مدَجّجاً بالعتمة والنّصال.

وكثيراً ما عكّر صفـو تلـك الطفولـة أحـداث هـدم البيـوت والاعتداء على الأهالي واعتقــالهم ومصـادرة ممتلكاتـهم إبـان حقبـة الانتـداب البريطـاني قبـل النكبـة، لكـن أحـداً لم يتوقـع الجريمـة الإنسانية الكبرى التي ابتدأت بالزلزال المدمر عام ١٩٤٨، رغــم كـل المؤشرات التي سبقتها، وقد عاش شاعرنا هذه التحــولات وصدمته النكبة صدمة عنيفة ترافقت مع دخوله سن الشباب وتفتح الوعـي، وكان قد أنهى دراسته في كلية غـزة وحصـل علـى شـهادة المعلمـين العليا عام ١٩٤٧.

وشاء له قدره أن يصاحب اللاجئين ويتعايش مع مصابـهم في معسكرات اللاجئين التي تكونت من خيام ســوداء في بدايـة الأمـر، وانطوت على أقسى صور المعاناة والعذاب، وقــد عمل مدرسـاً في هذه المخيمات، مثلما تفجر فيه الشــعر المؤثـر المتدفّـق، بـأثر مـن حدث النكبة وتوابعه، فاقترب من الجراح الراعفة، وتلمّس صـّـور الفقد والألم بعمق، ومن حصاد هذه التجربة خـرج ديوانــه الأول

(مع الغرباء - ١٩٥٤)، الذي رصد فيه معاناة فقد الوطن، وتأثيرات النكبة، وما خلفته من جراح وشروخ في روح الفلسطيني ووجوده. وتبدو هذه القصائد في هيئة وثيقة نفسية وإنسانية ترصد ألم اللجوء وحياة المشردين الذين وجدوا أنفسهم بلا وطن أو بيت أو مأوى، فعانوا أنماطاً مرّة من العذاب نتيجة جريمة مركّبة مورست أمام أنظار العالم أجمع.

ولهذا الديوان - مع الغرباء- أهمية خاصة في سياق تطور الشعر الفلسطيني، فهو ديوان النكبة الذي أوجد طريقة خاصة في رصد هذا اللون الجديد من العذاب الذي لم يعرفه شعب أكثر مما عرفه الشعب الفلسطيني، فهو موضوع جديد مثّل تحدياً أمام الشعر، وكان لا بد من موهبة خارجة من رحم التجربة نفسها، وكان قدر (هارون هاشم رشيد) أن ينهض بهذا العبء، ويبتدىء شبابه المبكر مع المعاناة والعذاب ورصد صور المشردين واللاجئين.

وبوضوح حاسم أهدى شاعرنا ديوانه وقصائده إلى اللاجئين، وهو إهداء شعري يعبّر عن مناخ تلك التجربة، وعن الطبيعة الشعرية في قصائد الديوان عامة، مضموناً وتعبيراً، يقول الشاعر موجهاً خطابه إلى اللاجئين:

إليهم .. قصيدي وما أنظمُ ... وشعري وما في دمي يُضْرَمُ

المغتربون والمشردون و (النفر النائمون) وقد واصل عمله في (صوت العرب) وواصل إنشاد قصائده المتتابعة من منبرها، بعد انتقاله عام ١٩٥٦ إلى القاهرة على إثر احتلال قطاع غزة إبان العدوان الثلاثي، وعاد في العام التالي ١٩٥٧، بعد تحرير القطاع مواصلاً عمله في إدارة الإعلام ومكتب صوت العرب.

ومع تأسيس (منظمة التحرير الفلسطينية) عام ١٩٦٥، اختير للعمل بها، مسؤولاً عن الإعلام في القطاع وواصل عمله حتى عام ١٩٦٧، الذي شهد نكبة جديدة عايشها الشاعر، ولما تجف بعد جراح النكبة الأولى، واضطر إثر احتلال القطاع إلى اللجوء إلى القاهرة ملتحقاً بعمله مسؤولاً عن مكتب منظمة التحرير الفلسطينية، مثلما كلّف ليعمل مندوباً مناوباً لفلسطين بجامعة الدول العربية.

وفي القاهرة ظل وفياً لطريقته في التعبير وفي استلهام هموم شعبه، فواصل إصدار دواوينه المتتابعة، وإنشاد قصائده على المنابر المصرية، إضافة إلى الوظائف والأعمال التي كُلّف بها لدى جامعة الدول العربية، واستمرت هذه الحقبة حتى عام ١٩٧٩، عندما انتقل مقر جامعة الدول العربية (بعد اتفاقية كامب ديفيد) إلى تونس، وانتقل بحكم عمله ليقضي عِقْداً جديداً في تونس، ويواصل عمله وتجربته الشعرية، ويصدر عدداً من أعماله في تونس، ويشارك في نشاطها الشعري والأدبي، مثلما تولّى تحرير مجلة (شئون عربية) أول

مجلة تصدرها جامعة الدول العربية.

وعام ١٩٩٠ عاد مجدداً إلى القاهرة مع عودة جامعة الدول العربية، مندوباً دائماً مناوباً (وزيراً مفوضاً) لفلسطين لدى الجامعة، وعضواً دائماً في اللجنة الدائمة للإعلام العربي، وما زال حتى اليوم على رأس عمله.

وخلال مسيرة العمل والحياة ظل (هارون هاشم رشيد) قريباً من الناس، بعيداً عن النخبوية، فاختار التعبير الواضح المؤثر الذي يمكن أن يصل إلى المتلقي، ولم يعن بمعارك الحداثة وحروبها الطاحنة حول قضايا الشكل والتعبير، فلم ينشغل بقضايا الجديد والقديم، ولا أشكال الشعر، وما يشبه ذلك مما دارت عليه معارك الحداثة، وإنما ظل همه أن يعبّر تعبيراً صريحاً عما يؤثر فيه، ويراه لائقاً بمصاب شعبه ووطنه، وظلت فلسطين بمعناها المباشر الواضح مصدر أسئلته وغاية تعبيره، وما سواها ليس سوى ترف معرفي أو شعري يحتاج أواناً آخر، وربما لهذا السبب نجد نوعاً من الترابط والتقارب بين قصائد الشاعر في مختلف مراحل تجربته، فلا نجد انشغالاً بأسئلة الشعر من الناحية الشكلية، ولا نجده يميل إلى بعض سمات الشعر الحديث كالغموض، والمبالغة في الترميز وتعقيد الصورة واستخدام الأقنعة وغير ذلك من مسائل معروفة في مسيرة الشعر الحديث.

وقد أصدر (هارون هاشم رشيد) عشرين ديوانــاً شـعرياً بـين عامي ١٩٥٤ - ٢٠٠٢ وهي الأعمال التي تحمل العناوين التالية (وفق طبعاتها الأولى) :

- مع الغرباء، رابطة الأدب الحديث، القاهرة، ١٩٥٤
- عودة الغرباء، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٥٦
- غزة في خط النار، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٥٧
- أرض الثورات، المكتب التجاري، بيروت، ١٩٥٨
- حتى يعود شعبنا، دار الآداب، بيروت، ١٩٦٥
- سفينة الغضب، مكتبة الأمل، الكويت، ١٩٦٨
- رسالتان، اتحاد طلاب فلسطين، القاهرة، ١٩٦٩
- فدائيون، مكتبة عمّان، عمان، ١٩٧٠
- مزامير الأرض والدم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧٠
- الرجوع، دار الكرمل، بيروت، ١٩٧٧
- مفكرة عاشق، دار سيراس، تونس، ١٩٨٠
- قصائد القدس، دار العودة، بيروت، ١٩٨٠
- المجموعة الكاملة، دار العودة، بيروت، ١٩٨١

- يوميات الصمود والحزن، تونس، دار سيراس، ١٩٨٣
- النقش في الظلام، دار الكرمل، عمّان، ١٩٨٤
- غزة... غزة، دار العهد الجديد، تونس، ١٩٨٨.
- ثورة الحجارة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٨.
- طيور الجنة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٨.
- وردة جبين القدس، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨.
- قصائد فلسطينية ، دار مجدلاوي، عمان، ٢٠٠٢

وإضافة إلى تجربته الغنية في هذه الدواوين المتابعة، فقد كتب هارون هاشم رشيد عدداً من المسرحيات الشعرية، التي آزرت قصائده في غايتها التعبيرية، وتمكن من خلال هذه المسرحيات من معالجة بعض القضايا على نحو أوسع مما تسمح به القصيدة المفردة، ولكنها في أفقها العام لم تبتعد عن المناخ الموضوعي للشاعر، ولا عن طريقته الشعرية، باستثناء مسرحة الحدث والشخصية، مما يعني تقديم الموضوع على المسرح. وقدمت أكثر هذه المسرحيات في عدد من الأقطار العربية، لتشكل أحد روافد المسرح الملتزم، ولتجدد تقاليد المسرح الشعري الذي لم يعنَ به إلا قلة من الشعراء العرب على مدار سنوات القرن العشرين، وهذه المسرحيات الشعرية هي

الأعمال التالية:

- السؤال، دار روز اليوسف - سلسلة الكتاب الذهبي، القاهرة، ١٩٧٣. وقد عرضت على المسرح القومي عام ١٩٧٣، وأخرجها كمال ياسين، بينما نهض ببطولتها الفنان المرحوم كرم مطاوع مع سهير المرشدي.

- سقوط بارليف، قدمتها فرقة المسرح القومي عام ١٩٧٤ على مسرح الأزبكية، وأخرجتها سناء شافع.

- عصافير الشوك، دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٧ وهي مسرحية شعرية عن الانتفاضة الفلسطينية.

- القصر، منشورات جريدة الدستور، عمان، ١٩٧٧.

- جسر العودة، قدمها المسرح الفلسطيني في: قطر، وليبيا ، والقاهرة.

وقد راد شاعرنا آفاق الرواية فكتب روايته الوحيدة (سنوات العذاب) وظهرت عن منشورات عالم الكتب في القاهرة عام ١٩٧٠. وقد أودع فيها أطرافاً من مسيرته الشخصية ومسيرة شعبة كشهادة نثرية عما لم يتّسع له الشعر.

أما في حقل الدراسة فقد كتب هارون هاشم رشيد عدداً من الدراسات الأدبية والسياسية، عن الشعر الفلسطيني والشعر المقاتل، كما عُني بحسن البحيري الشاعر الفلسطيني الذي لجأ إلى

دمشق وقضى حياته فيها، وللشاعر دراسة مبكرة عن (الكلمة المقاتلة في فلسطين) وهي دراسة عن شعر المقاومة، وقد أسهمت هذه الدراسة المبكرة في التعريف بظاهرة (شعر المقاومة) الذي أطلق على الشعر الملتزم الذي ظهر في الأرض المحتلة عام ١٩٤٨ وبرز من رواده: محمود درويش، وسميح القاسم، وتوفيق زياد، وسالم جبران وغيرهم.

وقد أسهم الشاعر في تأسيس اتحاد الكتاب الفلسطينيين عام ١٩٦٦، وانتخب عضواً في أول أمانة للاتحاد، كما أسهم في تأسيس اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين عام ١٩٧٢، وهو أيضاً عضو المجلس الوطني الفلسطيني، وقد مثّل فلسطين في عدد من مؤتمرات الكتاب العرب ومهرجانات الشعر العربي، وقد نال بعض التكريم من خلال الجوائز التي منحت لعدد من أعماله الشعرية والمسرحية، ونال أيضاً وسام القدس للثقافة والآداب والعلوم تقديراً لإسهامه الإبداعي في مسيرة الثقافة العربية والفلسطينية. كما منحته السلطة الوطنية الفلسطينية (جائزة فلسطين التاريخية)، عام ١٩٩٩، تقديراً لعطائه الشعري على مدار نصف قرن، ومنحته رابطة الأدب الحديث بالقاهرة زمالتها الفخرية تقديراً لدوره في التعبير عن هموم الإنسان المعاصر.

أما أهم تكريم ناله، فهو المكانة العميقة التي احتلها في

وجدان الناس وقلوبهم، ممن اتصلوا بشعره أو استمعوا إليه، وشاعرنا ممن أحبهم الناس وتعلقوا بنتاجهم خصوصاً أن قصائد (هارون هاشم رشيد) قد دخلت معظم مناهج التعليم في الأقطار العربية فتتلمذت عليها الأجيال، وتعرفت على فلسطين من خلالها، وحفظتها القلوب الصغيرة غذاءً روحياً لها على أمد العمر.

وقد كتبت عن الشاعر بعض الدراسات والأطروحات الجامعية في غير قطر عربي كما عني به الباحثون في مجال الشعر العربي والشعر الفلسطيني، وما يزال شعره محتاجاً إلى مزيد من الاهتمام والدراسة، لإبراز دوره في مسيرة الشعر الفلسطيني والعربي كتجربة لها خصوصيتها بعيداً عن التيارات التي سادت في المشهد الشعري.

وبصفة عامة فإن هارون هاشم رشيد ليس من طلاب المجد أو الاهتمام، فهو لا ينتظر تكريماً ولا احتفاءً، لأنه ينطلق من إحساسه بالواجب، ومن حرارة مواقفه ومبادئه، يقول كلمته ويمضي، آملاً أن تصل إلى قلوب الناس وتفعل فعلها في وجدانهم.

ولا ننسى قصائده المغناة التي زادت عن ثلاثين أغنية من بينها أغنيات لفيروز بتوقيع الرحابنة منها: (مع الغرباء) و (سنرجع يوماً)، إضافة إلى أغانٍ قدمتها فرقة (المجموعة) وفنانون من مثل: المرحوم غازي الشرقاوي، وصبري محمود، ومحمد فوزي، وكارم محمود

وفـايده كمـال وغـيرهم. وقـد بثـت في معظـم الإذاعـات العربيـة، فأوصلت كلماته إلى مـدى أبعـد، ووصلـت إلى جمـهور أوسـع مـن جمهور الكتاب المطبوع.

واليوم يحل هارون هاشم رشيد ضيفاً على عمّان، بدعوة مـن الناشر الصديق إبراهيم مجدلاوي، لتوقيع ديوانه الأخير الذي يرصد ريعـه لدعـم الأهـل في فلسـطين، ولإقامـة قـراءات شـعرية ضمـن مساهمة (دار مجدلاوي) في احتفالية عمان عاصمـة للثقافـة العربيـة عام ٢٠٠٢. وقد عرفت عمّان اسم شاعرنا وصوته من خلال دواوينـه التي نشرت في عمان، أو وصلت من العواصـم العربيـة، والأجيـال الأكبر سناً تتذكر صوته المدويّ عبر أثـير (صـوت العـرب). وهنـاك أيضاً قصائده وأناشيده التي تضمنتها المناهج المدرسية لعقود متتالية، ولا شك أن أجيالاً كثيرة تتذكر تلك القصـائد وتحفـظ معـها اسـم (هارون هاشم رشيد) كجزء من النشـيد، مـن مثـل نشيده الذائـع المتفائل:

بلادنـــا بلادنـــا مـــن أجلـــها جـــهادنا

مـــن أجلـــها استشـــهادنا بلادنـــا بلادنـــا

***

الكرمـــل المعطّـــرُ والســـاحل المخضوضـــرُ

واللـــوز والصنوبـــرُ والبرتقـــال المزهـــر

ومـــا بنــى أجدادنـــا بلادنــــا بلادنــــا

***

لهـــا غـــدا ســنرجع وأرضنـــا ســـنزرعُ

فجـــاهدوا وأبدعـــوا تـــهيأوا تجمعـــوا

ففـــي غـــد ميعادنـــا بلادنـــا بلادنـــا

مثلما نستذكر ذلك الحزن الذي يتسلل في نسيج كلماته، ولكنه يظل حزناً نبيلاً يشتمل دائماً على نفحة أمل، تشير إلى القادم، مثلما تشيع في كلماته ألفة وتلقائية محبّبة تتداخل مع بساطته التعبيرية، ومع الإيقاع الواضح الذي يرنّ فيه الحزن أو الغضب أو الأمل.

سـنعود يـا أختـاه للوطـن رغـم الشـقاء وقسـوة الزمـن

رغـم الليـالي العابثـات بنـا والجـوع والتشـريد والمحـن

سـنعود أكبـاداً مؤججـةً تواقـة للموطـن الحـر

وهنـاك نرفـع رايـة طويـت ونعيدهـا تزهـو على الدهـر

وهكذا ظل (هارون هاشم رشيد) صوتاً صادقاً، مؤمناً بالمستقبل رغم كل الجراح والمحبطات، مغنياً للحياة، ولفلسطين، كأجمل ما يكون الغناء.

يسر دار مجدلاوي للنشر والتوزيع أن تسنّ هذا التقليد الثقافي بمناسبة الاحتفال (بعمان عاصمة للثقافة العربية ٢٠٠٢) وذلك باستضافة شخصية ثقافية عربية كل عام في مختلف فروع الإبداع والمعرفة، وذلك إسهاماً منها في خدمة الحركة الثقافية والفكرية المحلية والعربية.

وقد رأت دار مجدلاوي أن تفتتح هذا التقليد، باستضافة الشاعر الفلسطيني الكبير هارون هاشم رشيد نظراً لمكانته الشعرية والأدبية الرفيعة، ولدوره العميق في تسجيل مأساة الشعب الفلسطيني على مدار أكثر من نصف قرن.

ابراهيم مجدلاوي

Dar Majdalawi Pub.&Dis
Amman 11118 Jordan
P.O.Box: 184257 Telfax: 4611606
دار مجدلاوي للنشر والتوزيع
عمان -الرمز البريدي ١١١١٨ الاردن
ص.ب : ١٨٤٢٥٧ تلفاكس: ٤٦١١٦٠٦
E-mail:mbooks@go.com.jo